آلة العود العربي التونسي

نظرة تاريخية فى صناعتها وتطورها

د. سلفاتوري مورا (جامعة توشا، فيتيربو، إيطاليا)

صنع العود العربي التونسي

العود العربي التونسي هو آلة تحتوي على أربع أوتار مزدوجة، ذو رقبة قصيرة، وبدون دساتين. ويتكون من صندوق صوت مصنوع من مجموعة من الضلوع، وهو متصل بسطح مستوي في الأمام مصنوع من الخشب، وبه ثلاث فتحات لتقوية الصوت، يجاورها غشاء مصنوع من قشر الصدف والخشب لحماية سطح العود من ضربات الريشة، المستخدمة للنقر على الأوتار. ولأنها تُصنَّع يدوياً، تختلف أبعاد هذه الآلات اختلافاً طفيفاً من صانع لآخر، وحتى بين منتجات نفس الصانع. ويختلف شكل هذا العود عن النوع "القياسي المصري" الموجود في تونس ودول أخرى. ويختلف هذان النوعان من العود في الجوانب التالية: العود التونسي له عنق أطول (٥٠ ميليمتر) وجسم أصغر من النوع المصري. ولدى الآخير ٥ أوتار مزدوجة ووتر سادس منفرد (باس أو قرار) (الصورة ١).

الشكل ١ يساراً: عود عربي، يميناً: عود شرقي.

يختلف نظام ضبط النغمات في العود العربي أيضاً عن النوع المصري، وعن بقية أنظمة ضبط النغمات الخاص بالتقاليد الإقليمية في الدول المجاورة مثل الجزائر والمغرب. وهذه هي طريقة ضبط نغمات العود العربي في تونس: (الصورة ٢).

الشكل ٢ ضبط النغمات

وفقاً لحدة الصوت والدرجات الموسيقية على المقياس الغربي (المفتاح صول)، يكون ضبط النغمات [دو ١، صول ٢، رى ٣، رى (أوكتاف) ٤]. وتتكون أنظمة الضبط الأخرى للعود في شمال أفريقيا من مسافة رابعة بين الوترين الأول والثاني، إما صول–رى في الجزائر (قسطنطين) أو رى–لا في المغرب، ومسافة خامسة بين الوترين الثالث والرابع (قطاط, ٢٠٠٠: ٣٣٤). وغالباً ما تُحوَّل الدرجة الموسيقية دو إلى لا، مكونة أوكتاف بين الوترين الثالث والرابع، وهي سمة تونسية ثابتة وفريدة من نوعها (رى ٣، ورى ٤) بين أنماط الضبط

المغاربية. ويمكن العثور على أعواد طويلة الرقبة مشابهة للعود العربي التونسي، لكن ليست مطابقة له، من المغرب إلى تونس ، ولا سيما عائلة من الآلات معروفة باسم القمبري (Christianowitsch, 1863: 31; Rouanet, 1922b: 2929; Farmer, 1928: 25; Meddeb, 2016: 2; Gouja, ١٩٩٦, ٢٠١٤, ٢٠١٥)، وهي عبارة عن عود به ثلاثة أوتار بينهم مسافة أوكتاف. وبشكل عام، يكون ضبط الأعواد في غرب إفريقيا مزيجاً من الفاصل الزمني الرابع والأوكتاف، على الرغم من إمكانية عزف العديد من المقطوعات بأنظمة ضبط مختلفة. وفاصل الأوكتاف هذا هو سمة رئيسية للعود العربي، الذي يتصل بعوامل محلية أخرى متجذرة في سياقها الأفريقي. تميّز هذه السمة، بالتأكيد، أنظمة الضبط المتنوعة من نماذج العود الشرقي (من مصر الحديثة إلى العراق) ، لترسم خط فاصل بين استخدام العود العربي والعود الشرقي. وهناك سمات خاصة بالعود العربي– إن مسارات الأوتار الأربعة مع نظام ضبط الأوكتاف، على سبيل المثال، تُنتج نوع صوت خاص به؛ وهناك أيضا تأثيرات تتعلق بموضع ريشة العزف المميز؛ كما أن ضبط نغماته يسمح برنين خاص وإنتاج نغمات دقيقة (مايكروتون)؛ وتساعد هذه السمات في تعريف صوت الآلة وتمييزها.

ويعزف العود العربي عادةً في فريق عازفي المالوف التونسي الحضري والذي يسمى الجوق، بصحبة الربابة والطبلة أو الطار. والمالوف هو أكثر الأنواع الموسيقية تعقيداً في تونس. ويرجع تعقيده إلى احتوائه على عدة أشكال موسيقية (النوبة، القصيدة، شغول، بشراف، استخبار، زينديلي، موشحات، زجل) وقله ارتباطه بسياقات احتفالية أو طقوسية، أو دينية، ما يجعله نوعاً موسيقياً يُلجأ إليه دوماً في أوقات الفراغ، والاحتفالات، ولخلق تأثيرات أسلوبية (الأفريقي، والمصري، والعثماني التركي). يشير غالبية التونسيين، الذي قابلتهم، إلى المالوف

باعتباره موسيقى تقليدية. وبشكل عام، يمكن قراءة المالوف كمرادف لما يشير إليه روث دافيس بـ "فن الموسيقى التونسي" (٢٠٠٢: ٥٠٥)، ومحمود قطاط بـ النوبة (٢٠٠٢: ٤٤٩).

اليوم، من بين أنواع العود من شمال إفريقيا ، يُعزف العود العربي في جميع أنحاء المراكز الحضرية التونسية (تونس ، صفاقس ، سوسة ، المنستير) ، وأجزاء من شمال إفريقيا (الجزائر والمغرب) ، وفي مجموعة من مجتمعات الشتات من فرنسا إلى إيطاليا. وفي تونس، هناك ثلاثة صناع لهذه الآلة: عائلة بالأصفر (في مدينة تونس)، ورضا الجندوبي (في مدينة منزل تميم) ، وفيصل الطويهري (في مدينة باردو). كما يتواجد العود العربي في مجموعة متنوعة من المواقع: قاعات الحفلات الموسيقية مثل المسرح البلدي، وكاتدرائية قرطاج، معهد الرشيدية بتونس، صفاقس، المنستير، القيروان؛ غرف التدريب في المعهد العالي للموسيقى، ونوادي المالوف مثل كونسرفتوار الفرابي، واستوديوهات التدريس، ومن الأمثلة على ذلك فرقة شباب المالوف التونسي، والمنازل الخاصة، ومجموعات المتاحف في لندن، وبروكس، وتونس، والمساحات الخارجية (النجمة الزهراء) ، واستوديوهات التسجيل [١]

من النجارين إلى الحرفيين المهنيين

من بين صانعي العود العربي العديدين المعروفين، اخترت بعضاً منهم لاعتبارات معينة، نظرًا لتأثيرهم وفنهم في جعل هذه الآلة ذات أهمية وطنية في تونس. يبقى انتقال هذه الحرفة بين دوائر عائلية متقاربة، عائلة بالأصفر، على وجه الخصوص، فضلت التطور نحو طريقة معيارية لصنع العود العربي التونسي. أزعم بأن هذا حدث عبر مراقبة ونسخ أدوات غير مصنفة تم إصلاحها في ورشة العائلة. في الواقع، بعد الاستقلال والتحول الاجتماعي في تونس، اتسمت تجارة العود العربي بين الهواة والمهنيين بكثافتها. أدى هذا إلى تركز

صناعة هذه الآلات في ورشة عائلة بالأصفر حينها. منذ عام ١٩٢٧ ، تشير هذه العلامات، كما سنرى، إلى فكرة معيارية عن العود العربي التونسي، والتي وجدت طريقها في الانتقال من خلال عائلة بارزة من الصناع في العاصمة، وهي عائلة بالأصفر. [٢]

تقاعد المؤسس محمد بن حسن عام ١٩٧٥ وتوفي في العام التالي. كان لديه ثلاثة عشر ابناً، ومنذ الخمسينيات، واصل أربعة منهم –رضا ، هادي ، والتوأم خميس وعبد اللطيف، المعروف أيضًا باسم لطفي– العمل في ثلاث ورش منفصلة. ويوضح الرسم البياني التالي أنه من بين أربعة من أبنائه العاملين في الورشة، واصل ابن أخ واحد فقط ، وهو محمد إسلام بالأصفر، عمل جده (انظر مخطط الأسرة أدناه).

محمد بن حسن بالأصفر (١٩١٠–١٩٧٥)

رضا بالأصفر (١٩٤٣–)، هادي بالأصفر (١٩٤٤–)، خميس وعبد اللطيف بالأصفر (١٩٦١–)

محمد إسلام بالأصفر (١٩٨٥–)

كان هادي، المولود في ٢٦ نوفمبر ١٩٤٤ ، الأكثر إنتاجًا في صناعة الآلات الموسيقية. صنع هادي معظم العود التونسي المنتشر في جميع أنحاء البلاد في النصف الثاني من القرن العشرين. [٣] في عام ١٩٩٩، عُيّن مديرًا لورشة العمل في مركز الموسيقى العربية والمتوسطية بمدينة سيدي بوسعيد، حيث يعمل ثلاثة أيام في الأسبوع. منح هذا المنصب الرسمي هادي سلطة مؤثرة فيما يتعلق بالعود التونسي، وقد وسَّع نطاق سمعته فيما يتعلق بجميع أنواع الآلات الموسيقية التونسية في البلاد

بدأ عبد اللطيف، الابن الأصغر (عمره الآن ٥٦)، العمل بمفرده في عام ١٩٧٦. ومنذ عام ١٩٨٧ ، عمل في سوسة (١٥ شارع قرطاج) لمدة ١٥ عامًا تقريبًا. [٤] وقد صنع الألعاب النموذجية الصغيرة الموجودة في متاجر مدينة تونس للسوق السياحي، وشكّلها على طراز العود العربي بأربعة أوتار. ومنذ عام ٢٠٠٢ ، كان لعبد اللوف مكتبًا – ورشة في رقم ٣٤ بالديوان الوطني للصناعات التقليدية، في مدينة الدندان ، تونس. [٥] يمكن القول أن أعمالهم الحرفية ومشاركتهم المؤسسية مع المكاتب الوطنية للحرف التقليدية التونسية، تمثل صناعة الآلات الموسيقية التونسية الرسمية في القرن العشرين.

في المدن التونسية اليوم، هناك العديد من الحرفيين الذين يمكنهم صنع العود التونسي بالعمولة، وهم حرفيون محترفون. أحد الصناع المتبقين في مدينة تونس العتيقة هو الحرفي ماهر الشريف.

كانت عشرات آلات العود التي صنعها ماهر في حياته، وورشته الواقعة في باب سويقة منذ أن افتتح أول ورشة له في عام ١٩٨١ (وهي منطقة مشاة مزدحمة في مدينة تونس العتيقة)، سبباً في إكسابه شهرة واسعة بين الهواة والمبتدئين. اعتاد ماهر على تكييف ملامح من العود الشرقي الخاص به مع العود التونسي، ولكنه، بشكل مدهش، يحتفظ بالتصميم المزهر التقليدي لمفاتيح الضبط. ويواصل ماهر تقليد جميل على طريقته الخاصة. [٦] حالياً، يعد ماهر أهم ممثلاً لصناعة العود في مدينة تونس العتيقة. [٧]

صانع عود آخر في المدينة العتيقة هو حبيب رقيق البالغ من العمر ٥٧ عامًا، والذي يعيش ويعمل في صفاقس منذ ثلاثين عامًا، وهي مدينة تبعد ٢٠٠ كيلومتر عن العاصمة إلى الجنوب. ويشير انتشار الأعواد العربية للرقيق في متاجر الموسيقى في جميع أنحاء البلاد إلى بعد جديد ومختلف عن عائلة بالأصفر وغيرها من صناع العود في المدينة العتيقة، إذ يمكن العثور على عود رقيق في جميع أنحاء البلاد لأنه رخيص.[٨] توجد

بعض آلاته في متجر موسيقى علي بابا في صفاقس. يأتي رقيق من عالم الحرف اليدوية التونسية التقليدية ولكنه مهتم بديناميكيات السوق. وتخلق صناعة رقيق للعود العربي تحولاً من القيمة العالية للمنتج إلى غرض ذي قيمة تجارية ، أو إلى سلعة.

تشير هذه الرموز في مجال صناعة العود، والموجودة في أكبر مركزين حضريين في البلاد، إلى تاريخ حرفي طويل الأمد للعود العربي في تونس. وهم يظهرون مستويات حرفية مختلفة تتعلق بصناعة الآلة، منتجين نماذج مخصصة للمبتدئين والهواة. لقد أظهروا أن الآلة يمكن صناعتها بالطلب ولكنها أيضاً تُباع في المتاجر، فهي كانت سلعة تباع في السوق، حتى أنها أُنتجت بكميات كبيرة؛ ولكن المهم، أن صناعة العود في هذا البلد كانت ولا تزال تُقدَّر على أنها عمل حرفي قائم على معالجة المواد الخشبية.

العود العربي القياسي، تطويع الخشب يدوياً

قادتني ملاحظاتي حول تصنيع الآلة بواسطة الحرفي هادي بالأصفر في ورشة عمل مركز الموسيقى العربية والمتوسطية (CMAM) في سيدي بوسعيد ، تونس، يونيو ٢٠١٥ ، إلى التفكير في أن هناك خيالاً جمعياً يتعلق بصناعة العود العربي في تونس. إذا سألت موسيقيًا، بدء من أكثر الشخصيات العامة شهرة في عزف العود العربي بتونس مثل زياد غرسة إلى العازفين الصاعدين مثل زيد مهدي، عن العود العربي الذي يعزفون عليه ، سيجيبون بأنه: "عود من صنع هادي بالأصفر". لا يتعلق الأمر بالجودة المجردة: تعتبر المهارات التقنية التي يمتلكها هادي بالأصفر سمات ثقافية أكثر من كونها مجرد خطوات صناعية، وهي متجذرة في الحرف اليدوية الوطنية التونسية. وتُنقل هذه المهارات شفهيًا وتأتي من ماضي، لم يبق منه اليوم سوى نماذج قليلة [٩]. سأقترح أن البحث في حرفية ومهارة بالأصفر تعني تتبع طريقة "معيارية" لصنع العود العربي في

تونس، وأنها تنبثق من سياق الحرف اليدوية في "المدينة العتيقة" التي تتسم إلى حد كبير بهويتها التونسية والعربية.

ما الذي تتكون منه عملية صنع المواصفات القياسية هذه وكيف ترتبط بالأعمال الخشبية بشكل عام؟ خلال شهري مايو ويونيو ٢٠١٥، راقبت هادي بالأصفر وهو يصنع العود العربي الذي طلبته منه. تتسم المراحل المختلفة وترتيب العمل بالمرونة، لكن العملية الأساسية تتضمن إنشاء قالب "قلب الجص" ، وهو نموذج لجسم العود. لدى صناع العود عدة قوالب للعديد من نماذج العود، وكما أخبرني محمد إسلام، ابن هادي بالأصفر، أنه لديهم القالب "القديم" و "الأصلي" للعود العربي في تونس. وهو مصنوع من خشب الصنوبر الأحمر، الذي أُختير لصلابته وقدرته على التكيف مع التغيرات المناخية. تُثبَت الأضلاع الخشبية، التي تشكل الجسم الأساسي لصندوق الآلة، على القالب. ويمكن تصنيع الأضلاع من أنواع مختلفة من الخشب مثل خشب الورد والماهوجني، إلى آخره. المهم في هذه المرحلة هو الكعب، وهو كتلة مكعبة صغيرة تمتد على كل من الجزء العلوي والسفلي من جسم العود (القصعة)، حيث تُثبَت الضلوع عندها. والكعبان هما آخر قطعتان تربط الضلوع ببعضها وتفصلها عن القالب.

ويتراوح طول الضلوع بين ٢ و٣ سم وسمكها ٣ مليمتر، ويتقلص هذا السمك إلى ١.٥ مليمتر بعد التنظيف والتنعيم. وتُشكَل باستخدام المنشار. بعد قطع الضلوع، يقوم بالأصفر بتقويسها (على شكل منحنى) "التقويس" –ثم يغمسها في الماء ويُعدلها على سطح ساخن. الجزء الأخير في هذه المرحلة هو تصنيع وتثبيت الضلوع. والهدف منه هو دعم جسم العود، وهو ما يسميه "العمود الفقري"، بدءاً من وضع الضلوع من منتصف القالب.

واتجاه وضع الضلوع هو من جانب اليد اليمنى – ثم اليسار ثم اليمين مرة أخرى وهكذا– من أعلى إلى أسفل، لتُلحم بعد ذلك عبر إضافة سن حاد (دبابيس). ثم يترك حتى يجف.

يتراوح عدد أضلع العود العربي بين ١٥ و٢١ ضلع. وعند تجفيفها، يضاف شريط رفيع من الورق (الشريطة الورقية) بينها لإبقائها ملتصقة بدقة بالغراء العضوي. يجفف الغراء، المصنوع من أرجل العجل، ويُعالج، ثم يُذاب في الماء تحت الحرارة (في المقابلة، يسلط بالأصفر الضوء على جودة هذا الصمغ وخصائصه للسماح للصوت بالانتشار عبر الخشب). لكن، ليس نوع الغراء فقط بل الطريقة التي يستخدمها بالأصفر تعد نقطة أخرى مهمة. ويبدو أنه لا يمكن حساب كمية الغراء المستخدم بطريقة دقيقة. لقد رأيت هادي بالأصفر يستخدم هذه المادة وغيرها من المواد العضوية "بحركات طبيعية" كما لو أن كل لمسة على الآلة، حتى الحركات الأكثر دقة للصق الدقيق، يجب إجراؤها دون المبالغة في ذلك. يعرف بالأصفر النتيجة التي يريدها استناداً إلى سنوات خبرته بالنظر واللمس. كما يذكرنا سينيت، فإن العلاقة الحميمة بين الرأس واليد، والتفكير والتطبيق الحقيقي هي محور عمل الحرفي. على سبيل المثال، إن استخدام المواد اللاصقة بين ورق الضلوع هو نتيجة حركات يد هادي بالأصفر. إنها حركة واعية بالكامل، وعي ينتقل من العقل إلى اليدين بعد سنوات من العمل.يربط القفل الضلوع بإحكام. إنه عبارة عن شريط من الخشب حول حافة الجسم، وهو له أيضًا وظيفة زخرفية. ويتكون لوح الصوت (الوجه) من ٤ أو ٥ قطع بسمك ٢ ملليمتر. في ورش تصنيع وإصلاح آلات العود، عادة ما يُصنع الوجه من قطعتين فقط. يسهل هذا اللصق ويجعل الوجه أكثر ثباتاً. حتى اليوم، لا تزال وجوه بالأصفر تُصنع، بشكل عام، من خشب الأرز بدلاً من التنوب. ويحتوي العود الذي صنعه في عام ٢٠١٥ على لوحة صوت من خشب الأرز. وخشب الأرز هو خشب غريب لوجه العود، كما هو الحال بالنسبة للأدوات المماثلة

مثل المندولين أو الجيتار، التي يستخدم فيها الصناع المحترفين خشب التنوب، لكن بالأصفر أخبرني أن العود العربي كان يصنع دائمًا من خشب الأرز. واليوم، لا يوجد صانعون، باستثناء بالأصفر، يصنعون وجه العود العربي بخشب الأرز. لقص الشكل، يضع بالأصفر الجزأين وجهًا لوجه على طاولة (الوجه) والجسم، لرسم مخطط دقيق للشكل بقلم رصاص ويقطعه بالمنشار. يقوم بقص الخشب بدقة لتنعيم السطح، ثم يلصق القطع معًا [١٠]. وغالبًا ما يكون الوجه أكبر بضعة ملليمترات عن الجسم. لقد أخبرني بالأصفر أن هذا التنفيذ يقلد حافة الكمان. وأخيراً، يستخدم الورق الكاشط (الورق الزجاجي) لتنعيمها. حتى هذه المرحلة، تكون عملية الصنع يدوية بالكامل.

تنتمي صناعة الوردات (القمرات)، إلى التصنيع الفني. ويحتوي العود العربي على ٣ وردات. وتوضع على صدر لوح الصوت (الوجه)؛ تكون الوردة العلوية ١٣ سم دائمًا بعيدًا عن مفصل الرقبة، وزوج الورود، الموجود في منتصف لوح الصوت، يبعد ٢٧ سم عن مفصل الرقبة. وتُعزز الوردات باستخدام نوع أخشاب أخرى، غالباً ما تكون من خشب التنوب (٣-٤ ميليمتر)، وتوضع أسفلها (الجانب الخلفي من السطح). تتعارض فكرة التعزيز تحت وجه الآلة مع مبادئ الخفة وانتشار الصوت، وفقاً لما يشير إليه الحرفي الطويهري. يقول إن التعزيز يجعل الآلة أثقل حتمًا. ويبلغ وزن العود العربي حوالي ١ كجم، وهو أعلى من متوسط وزن نماذج الأعواد الأخرى. وتؤثر هذه السمة على الأسلوب العام للعزف، وكيفية إمساك الريشة، ونوع الضربات وشد الأوتار. لتصميم الوردة، توضع قطعة من الورق بأشكال هندسية ونباتية على هذا الجزء لرسم نموذج زخرفة الوردة ولحفرها مباشرة باستخدام آلة ذات شوكة تسمى "التخشيش". هذه هي الماكينة الوحيدة المستخدمة حتى الآن لصنع آلة العود كما أنها تستخدم في الأعمال الخشبية القياسية. وتكون قضبان التناغم، التي تسمى حرفياً

الجسر أو المسطرة (سطح، خط)، ٩ عادةً (ذكر بالأصفر أنها يمكن أن تكون ٧ أيضاً). توضع أربعة من هذه القضبان بسمك ٣ مم وعرض ٤ مم في منطقة القمرات؛ خمسة منهم بسمك ٦ مم وعرض ١٤ مم، اثنتان منهم موضوعتان في الجزء العلوي من منطقة الوردة وثلاثة في الجزء السفلي من منطقة الوردة.

يُلصق الجسر السفلي "الفرس" يعني حرفياً "الحصان" أو "كورسا" في الجزء السفلي من السطح، ويبلغ طوله ٣٦ سم من المسافة (بين نهاية جسم العود وبداية الرقبة). يبلغ طول الجزء الذي تعلق فيه الأوتار ١٠.٥ سم، وطول الرقبة ٢٤ سم. ويوجد على الفرس ٨ أخاديد لإدخال الأوتار. ووُضِعَت الواقية، تعني حرفياً "الحماية" وتسمى بالرقمة وهي عبارة عن غشاء مصنوع من الخشب(خشب الورد أو الماهوجني ومزين بعرق اللؤلؤ)، أسفل الوردتين لحماية السطح من ضربات الريشة. في العود العربي، توضع قطعة من الجلد حول حافة الجسم لتثبيته بإحكام وحمايته من درجات الحرارة المرتفعة. ويشير الجلد ومواد النسيج الزخرفية الأخرى غير الخشب إلى ارتباط تاريخي في شمال إفريقيا بين الآلات الموسيقية وصناعة النسيج التقليدية. على سبيل المثال، تجعل حشوات العظام السميكة وعرق اللؤلؤ الآلة أثقل، خاصة باتجاه جانب الرقبة. والرقبة مصنوعة من خشب الصنوبر الأحمر، ومغطاة بخشب الأبنوس في الأعلى ومزينة بعدة أنماط من خشب الأبنوس الأسود وعظام البقر البيضاء. ويبلغ طولها ٢٤ سم وعرضها ٤ سم عند "الكابو"، و ٥ سم حيث تلتقي بالجسم، وسمكها ٢.٥ سم. وتُربط الرقبة بالجسم بقطعة من الخشب تنتهي عند الطرف الآخر، وتسمى حرفياً بذيل خطاف (تعبير تونسي) بابوس الخريفة، "ذيل السنونو" أو "التعشيقة" مع إدخال أربع زوايا في الرقبة. لا يحتاج المصنّعون إلى لصقها لأن هذه القطعة الخشبية تدخل في كلا الجزأين وتُثبت بإحكام.

الشكل ٢ الرقمة المستخدمة لحماية سطح العود

وعادة ما يصنع رأس العنق، الذي يسمى البنجق ، من خشب الجوز، ويُنحت من قطعة واحدة فقط من الخشب. ويبلغ طوله ٢٤.٥ سم وسمكه حوالي ٤ سم. ويعد طلاؤه باللون الأسود من الممارسات المعتادة. وفقاً لـ بالأصفر، يكون الطلاء بغرض التزيين. "إذا كنت تستخدم خشبًا ممتازاً فلا يجب طلائه". وتبعد المفاتيح، المصنوعة من خشب الورد وتسمى "العصافير" أو "الملاوي"، عن بعضها بمسافة ٢ سم.

تغيَّرت زخرفة الملاوي في ٣ تصاميم مختلفة. و"الكابو"، والذي يسمى الأنف أو العتبة، هو حد الجسر الذي يقود الوتر من الجسر السفلي (المشط أو الفرس) إلى المفاتيح. وتُصنع الملاوي من الخشب القوي بدون عروق لتجنب التشققات.

من هذا الوصف لصناعة العود، هناك سمتان للأداة مهمتان للنقطة التي أرغب في توضيحها هنا. تتعلق الأولى بحقيقة أن الآلة هي، إلى حد كبير، آلة نقر قوية. فهي مصممة كي تكون ثقيلة ومتينة. وبالتالي، من بعض النواحي، يصعب العزف عليها خاصةً بسبب سمك العنق وشد الأوتار. هذه الصعوبة هي سمة أساسية للعود العربي وتؤدي إلى صدى فريد للآلة. علاوة على ذلك، تجعل هذه السمة الآلة مميزة عن أنواع العود الأخرى وحتى بين النماذج الموجودة في شمال أفريقية. في آلة بالأصفر، على سبيل المثال، يتعلق الأمر بالكمية

الإجمالية للمواد، والتعزيزات الخشبية، وكمية الغراء. وأخيرًا، يتميز العود العربي التقليدي ببنية قوية وصلبة تجعله آلة مناسبة لأداء العروض في الهواء الطلق.

في الختام، إن ما يميز صنع عود بالأصفر، مبدئياً، هو نهجه العفوي تجاه دقة التفاصيل ونقص ابتكارات التصميم الشخصي: الخشب، والزخارف العظمية، ونحت الورود، وشكل التصميم العام، والمواد كلها تقع ضمن تصور متخيل ومثالي لتقاليد الحرفة التونسية. نشأ هذا التقليد المثالي من كل الأعواد العربية، التي رآها وأصلحها وصنعها في حياته. وبالتالي، أسس حرفية قياسية من خلال هذه الممارسة. إن فكرة بالأصفر القائمة على تجسيد مرجع معياري لهذه الآلة تحظى بقوة بين المولعين بالعود والعازفين. إنها قوية لدرجة أنه يبدو أن "التقليد" هو تعبير فردي عن بالأصفر. بعبارة أخرى، يعرفه الناس بـ "التقليد". إن هذه الطريقة "التقليدية الأصيلة" التي اتبعها بالأصفر لصنع الآلة دون إيلاء اهتمام خاص للمبادئ الصوتية لا تزال، على نحو غير متوقع، تؤدي إلى حرفية ممتازة في صناعة الآلات الموسيقية. بالنسبة لـ بالأصفر، تعد صناعة العود ممارسة جسدية عملية قائمة على اللمس والحركة بدلاً من كونها عملية تخيلية أو نشاط يتبع مبدأ صوتيًا نظريًا. وكما قلت، تأتي هذه الصناعة المستمرة من النجارة والتدريب التقني، الذي يتضمن الاتصال العملي بالآلة. في المقابل، يمكن اعتبار العود العربي لـ بالأصفر أصيلًا، وبسيط، وريفيًا تقريبًا، وعملي. إنه يشمل طبيعة العود العربي، مستحضرًا التوجه الإيقاعي للآلة.

الهوامش

[١] اطلع أيضاً على المجموعات على موقع فيسبوك مثل: المالوف التونسي، ونادي المالوف للغناء العربي، ورشيدية –المنستير؛ قنوات اليوتيوب مثل: قناة غالية بن علي والتي عليها ١.٦٤٧ متابع، وعلي السياراي ولديه ٩.٤٣١ متابع؛ مواقع (oudmigrations.com, chikioud.com, christianrault.com, musique.arabe.over-blog.com, andalousia.overblog.org)

[٢] أنشأ محمد بن حسن بالأصفر ، المولود في ٥ أكتوبر ١٩١٠ ، أول ورشة للآلات الموسيقية في شرق مدينة تونس العتيقة في باب الخضراء. منذ أواخر عشرينيات القرن الماضي، صنع الأعواد الشرقية في ورشة أخرى في باب السويقة، حيث مكث حتى نهاية الثلاثينيات. ومع ذلك، فإنها لا تزال قائمة حتى اليوم من خلال ابن أخيه محمد إسلام بالأصفر، وأثر عمله على صنع معظم الآلات الموسيقية في العاصمة التونسية في القرن العشرين والمراكز الحضرية الأخرى. وانتقلت ورشة العائلة إلى باردو في عام ١٩٤٣.

[٣] بين عامي ١٩٨٢ و ١٩٩٦، كان يدير ورشة ومتجرًا للآلات الموسيقية، " Maison des Instruments de Musique" أو "بيت الآلات الموسيقية"، في المنطقة المسماة مدينة التحرير بالعاصمة في شارع فلسطين. منذ عام ١٩٩٩، كان يعمل مع ابنه إسلام في ورشة العائلة في حي الانطلاقة، ربع شمال العاصمة حيث يعيش أيضًا.

[٤] يصنع عبد اللطيف كل من العود الشرقي والتونسي بالإضافة إلى آلات تونسية أخرى مثل الرباب والطار.

[٥] شغل محمد بالأصفر هذا المنصب بين عامي ١٩٦٤ و١٩٧٥ ، ثم شغله هادي بالأصفر بين عامي ١٩٦٤ و ١٩٨٠.

[٦] عبد العزيز جميل (١٨٩٥-١٩٦٩)، أول صانع أعواد عربي تونسي محترف، ولديه ورشة عمل في مدينة تونس العتيقة.

[٧] مشروع نُفذ في إطار MEDNETA، وهي شبكة ثقافية متوسطية لتعزيز الفنون والحرف والتصميم من أجل تجديد المدن التاريخية، ويدعم المجتمعات وينشئ شبكة من الأنشطة الاقتصادية التي تشكل السياقات الحضرية والاجتماعية لمدينة تونس العتيقة. أجرى المشروع، الذي يخضع لإدارة زبير موحلي وأطلقته جمعية حماية مدينة تونس العتيقة في عام ٢٠١٤ ، مسحاً لأكثر من ٥٠٠ ورشة حرفية تمارس أكثر من ٢٠ حرفة مختلفة. ويظهر ماهر على غلاف هذا الكتاب. في القرن الثامن عشر، ضمت المدينة العتيقة أكثر من ٢٧ ألف حرفي وفي القرن التاسع عشر، كان هناك أكثر من ١٣ ألف حرفي.

[٨] هو صانع علم نفسه ذاتياً، يصنع آلات تتراوح من القانون إلى الربابة والعود، لكنه أيضًا حاصل على شهادة في الموسيقى العربية مع العود كأداة رئيسية، وقد حصل عليها عام ١٩٩٤ في كونسرفتوار تونس للموسيقى. هو عازف يصنع آلاته الخاصة.

[١٠] تُنفذ هذه المهمة باستخدام أزاميل ذات أحجام متعددة، ونوعين آخرين من الأزاميل يسميان اللازيرة أو المومﻻسا.